

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجا)

أ/سقوان نجلاء¹¹ جامعة الجزائر 02/أبو القاسم سعد الله-الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/11/10 تاريخ القبول: 2019/11/25 تاريخ النشر: 2019/12/01

الملخص:

يرتبط موضوع المقال بالرحلات الاستكشافية التي قام بها القرطاجيون في القرن الخامس ق.م، بقيادة حانون الذي قادها إلى إفريقيا الغربية وخيملك الذي توجه نحو شمال أوروبا، مسعى جميع هذه الرحلات كان للعثور على الذهب والثروات والمادة الخام لتنمية الحرف وإنشاء مراكز تجارية جديدة للتبادل أو بيع السلع والبضائع التجارية، بالإضافة إلى روح المغامرة وحب الاستطلاع والأمل الدائم باكتشاف طرق بحرية جديدة لتعزيز تجارتهم، ومن أجل اقتصار الوقت والمسافات بين المراحل والمرافق. ولقد ظل هذا الموضوع بعيدا عن اهتمامات دارسي تاريخ المغرب القديم، فأغلب الدراسات التاريخية التي أنجزت حسب إطلاعي المتواضع من خلال هذا المقال قد أنصبت حول الجانب السياسي والعسكري دون الخوض في الميدان الثقافي وأدب الرحلات، وهذا ما شد رغبتني للبحث في هذا الموضوع، رغم شح المراجع التاريخية فيه.

Sommaire:

Le sujet de l'article est lié aux expéditions exploratoires effectuées par les Carthaginois au 5ème siècle AV. J. C., dirigé par Hanoun, qui l'a dirigé vers l'Afrique de l'Ouest et Khimlak, qui se dirigeait vers le nord de l'Europe. L'objectif de tous ces voyages était de trouver de l'or, de la richesse et du matériel pour le développement de l'artisanat et la création de nouveaux

centres commerciaux d'échange ou, La vente de biens et de biens commerciaux, en plus de l'esprit d'aventure et de curiosité et l'espoir de la découverte permanente de nouvelles voies maritimes pour promouvoir leur commerce et de limiter le temps et les distances entre les étapes et les ports. Ce sujet est resté loin des préoccupations de l'histoire de Darcy du Maghreb ancien, la plupart des études historiques qui ont été complétées selon ma connaissance du modeste à travers cet article ont porté sur le côté politique et militaire sans entrer dans le domaine des voyages culturels et littéraires, ce qui a intensifié mon désir de recherche sur ce sujet malgré la pénurie de références Historique.

المؤلف المرسل: أ/سقوان نجلاء

المقدمة:

لقد تركت قرطاج بصمات لا تمحى على الخارطة الجغرافية والحضارية للشمال الإفريقي، ويتفق أغلبية المؤرخين على أن المغرب القديم دخل في ما هو معروف "التاريخ"، يوم حط أهل فينيقيا على أرضه، ورسى سفنهم على شواطئه، وأسسوا مستوطنات تجارية في المنطقة، كليكسوس في الساحل الغربي الأطلسي، وأوتيكا في الساحل التونسي حاليا. غير أن أهم مستوطنة أسسوها في شمال إفريقيا القديم هي "قرطاج" عام 814 ق.م، هذه المستوطنة التي أصبح لها شأن بارز بعد ضعف المدن الفينيقية في الحوض الشرقي، لتؤول لقرطاج من بعد الزعامة البحرية في الحوض الغربي للمتوسط وخارج أعمدة هرقل.

وبفضل هذه السيادة البحرية استطاعت قرطاج أن تكون إمبراطورية قوية، وصاحبة حضارة، اعتبرت أضخم حضارة في بلاد المغرب القديم، انتعشت وازدهرت في جميع مجالاتها: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية منها الرحلات البحرية، هذه الأخيرة التي أتخصص بدراستها في هذا المقال.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون)

نموذجاً)

امتلك القرطاجيون مهارات عالية في بناء السفن التي استخدموها للسيطرة البحرية طوال قرون، كما عرفوا بمهاراتهم وخبرتهم في خوض غمار البحار، وسعى خيملك وحانون ملك القرطاجيين، لإكتشاف آفاق جديدة والإبحار صوب الأماكن المجهولة في تلك العهود فأعدوا لرحلة استكشافية إلى السواحل الإفريقية الأطلسية والأوروبية.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة لأنها تتناول جزء مهم من الإنجازات الثقافية القرطاجية في بلاد المغرب القديم وهو أدب الرحلات البحرية والنتائج الثقافية والدينية التي خلفتها للإمبراطورية القرطاجية والتي جعلت منها منافس بحري لأكبر إمبراطوريات العالم القديم.

لكي يتيسر لي دراسة هذا الموضوع والإلمام بعناصره حاولت طرح إشكالية رئيسية وهي كالآتي:

من هم أشهر الرحالة القرطاجيين؟ وما هي أهم الرحلات البحرية وإنعكاساتها الثقافية والدينية على قرطاج وعلى العالم القديم؟

دفعتني إشكالية الموضوع والمادة العلمية التي اعتمدتها إلى تقسيم المقال إلى ثلاثة عناصر وهي:

1- الرحلات البحرية القرطاجية (خيملك وحانون)

2 - النتائج الدينية والثقافية للرحلات البحرية القرطاجية

أولاً: الرحلات البحرية القرطاجية: سأعالج في هذا العنصر بعض الرحلات الأدبية التي قام بها رحالة من قرطاج، تعرفوا من خلالها على العالم مثل: شبه جزيرة إيبيريا وسردينيا وهيميرا وجنوب بريطانيا ومنها:

أ) : رحلة خيملك القرطاجي (هميلكون): وردت أخبار رحلة هميلكون في قصيدة لاتينية للشاعر فيستوس أفينوس (Rufus festus Avienus) والذي عاش في

أ/سقوان نجلاء

النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد (04 ق.م)¹، وألف هذه القصيدة ليعلم أحد أقربائه، وعنوانها حول البحر (Maritimaora)².

ومن المصادر الرئيسية لـ أفينوس تقرير كتبه قبطان مسيلي (من ماتساليا) كان قد زار تارشيش، حوالي نهاية القرن السادس ق.م وبعد خراب تارشيش مباشرة تمت رحلة هميلكون، أي بداية القرن الخامس ق.م،³ وقد إدعى أفينوس أنه أخذ هذه الأبيات من ترجمة لرواية هميلكون نفسه، لكن ستيفان قزال يتساءل: هل يجب التسليم بأن مصدر أفينوس هو رواية هميلكون؟ خاصة وأن وصف أفينوس لسير الرحلة من الشمال إلى الجنوب بينما إتبع هميلكون طريق الجنوب إلى الشمال، وهنا يعتقد ستيفان قزال أن أفينوس ربما إعتد على تلخيص رحلة هميلكون والذي أورده بعض الكتاب الذين جاءوا قبله.⁴

وقد أنطلق هميلكون في رحلته من قرطاجة في إتجاه قادس ليلتف حول شواطئ شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم أبحر نحو الشمال على طول الطريق التجاري البحري القديم لتارشيش⁵ وهذا من أجل الوصول إلى جزر القصدير والتعرف إليها عن كثب وربط الصلة مع الذين كانوا يشرفون على إسغلالها⁶، وتمثلت في جزر الكاستيريد أو جزر الأسترميند، وحسب أفينوس فإن أسترمينس هو الإسم القديم لمرتفع من الأرض يمتد تحته قسم من المحيط يعرف بإسم الجون الإسترميني

¹ جورج سارتون، تاريخ العلم، ج 1، ترجمة (جورج حداد وآخرون)، ط2، دار المعارف، مصر، 1980، ص 151.

² أحمد صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، بوسلامة، تونس، 1959، ص 135.

³ جورج سارتون، المرجع السابق، ص 151.

⁴ Gsell (ST), H.A.N.N, TV, OP, Cit, P 368

⁵ ريمة مليزي، قرطاج والبحر 814-146 ق.م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 106.

=أنظر الخريطة رقم 02 صفحة 104.

⁶ أحمد سلمياتي وآخرون، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات في البحث عن الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 25.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجاً)

الذي توج به جزر الأسترميند الغنية بالقصدير والرصاص وحسب قزال فالمرتفع
يحتمل أن يكون بالناحية الغربية لبروتاني الفرنسية.⁷ أنظر الملحق رقم

01 صفحة 13

ولا يوجد أي دليل أثري يثبت وجود إتصال مباشر بين قرطاجة وبروتاني
الفرنسية⁸، إلا أن النصوص التاريخية القديمة تؤكد وتثبت أنه كانت للفينيقيين
والقرطاجيين فيما بعد علاقات تجارية مع الجزر البريطانية، حيث ذكر أسترابون
بأنه في جزر القصدير يوجد معدنا التنك والرصاص وأن أهالي هذه الجزر كانوا
يقايضون بها مع الفينيقيين للحصول على الخزف والملح والآنية النحاسية، لأن
الفينيقيين وحدهم في الزمن القديم كانوا يقومون بهذه الرحلة التجارية من قادس
إلى هذه الجزر،⁹ هذا بالإضافة إلى ما قاله أفينوس: "تاجر التارتيسيوس
والقرطاجيون مع الشمال مع بلاد بعيدة مثل الأستريميند".¹⁰

ويبدو أن القصدير كان يشحن على مراكب تبني من قصب وتبطن بالجلود
فتأتي به إلى جزر الأسترومينيدا ومنها يأخذها تجار قرطاجة إلى أسواق البحر
الأبيض المتوسط.¹¹

واجه هميلكون صعوبات ومخاطر عديدة في طريقة،¹² فمرة تسكن الريح
فتشل حركة السفن¹³، ومرة تعترضها طحالب عملاقة فتتورط فيها. وهذه رمال

⁷ جورج كونتينيو، الحضارة الفينيقية، تر: عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1997م، ص 351.

⁸ p171 Harden(Donald), The phoenicians and hudson.1963
Strabon, Géographie (I,III,XVII), D'Amédé tradieu, Edition, Hachette (Paris)
⁹1894), P 176

¹⁰ جان مازيل، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تر: نجيب غزاوي، سوريا، 1988، ص 123

¹¹ الطاهر دراع، المرجع السابق، ص 89.

¹² جان مازيل، المرجع السابق، ص 181.

أ/سقوان نجلاء

ممتدة فسيحة الأرجاء سافرة لا تضاجعها الأمواج، وهذا ضباب سميك يحجب الأرض والسماء، وهذه حيوانات غريبة مهولة تجوب البحر كأنها تبحث عن فريسة. فكل هذه الأوصاف والمخاطر ذكرها النحوي فستوس أفينوس في أرجوزة.¹⁴

تعطلت رحلة هميلكون التي قضاها في ذهابه من قادس إلى الأسترميند ب أربعة أشهر(4 أشهر)، إما لكونه أقام بعدة نقط على ساحل المحيط، وإما سوء الأحوال المناخية، مثل سكون الرياح، أو الرياح المعاكسة¹⁵ وهذا لأن الرحلة من قادس إلى هذه الجزر لا تتجاوز أسبوعين فقط.¹⁶

وفي نفس الفترة تقريباً لرحلة هميلكون، قام الملك حانون برحلته البحرية نحو سواحل إفريقيا الغربية، وسوف أتطرق لها في العنصر الآتي:

(ب) رحلة حانون القرطاجي (Hannon): إذا تلاشت أخبار خيملك ورحلته البحرية، فإن المعلومات عن رحلة حانون أوفر بكثير، وهذا لكون حانون قام بكتابة رحلته في لوح من البرونز وعلقة في معبد الإله بعل أمون،¹⁷ ليبارك له الإله عمله،¹⁸ وقد تم ترجمة نص الرحلة إلى الإغريقية في نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الثالث ق.م ثم إلى الفرنسية ومؤخراً إلى العربية.¹⁹

نالت قصة رحلة حانون إهتمام الكثير من العلماء والمؤرخين، وتناولوها بالدراسة والتحقيق والنقد، وقد تقبلها الكثير من المؤرخين والباحثين

¹³ أنظر الشكل رقم: 20 صفحة 108

¹⁴ الطاهر دراع، المرجع السابق، ص 89.

¹⁵ Gsell(S T)H.A.N.N.TV, OP, Cit, P369.

¹⁶ أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، المرجع السابق، ص 135.

¹⁷ كاركوينو (جيروم)، المغرب العتيق، تر: محمد التازي سعود، نشر أكاديمية المملكة المغربية (الرباط)، ص 351.

¹⁸ المكان نفسه، ص 113.

¹⁹ ريمة مليزي، المرجع السابق، ص ص 163-164.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجا)

لكنهم اختلفوا فيما بينهم في بعض التفاصيل، مثل تحديد الأماكن التي ذكرها حانون وأقصى منطقة وصل إليها.²⁰

جرت هذه الرحلة في القرن الخامس ق.م حيث استأثرت أغنى عائلة تجارية بالسلطة في قرطاج، وهي عائلة الماغونيين، وعرفوا بسياساتهم التوسعية سواء داخل إفريقيا أو حوض البحر المتوسط، وقد كان الملك حانون²¹ من بين أفراد هذه العائلة التي حكمت طيلة ثلاثة أجيال،²² وقد قام برحلته البحرية الشهيرة في الجهة الغربية لإفريقيا وبعد رجوعه قام بنقشها وتعليقها في قدس قرونوس كما جاء في الترجمة الإغريقية. وسأقدم مقتطف من خطاب حانون قبل تحليله.

ج) تحليل خطاب حانون بالاعتماد على المصادر والمراجع

خطاب حانون نحوى شعب قرطاج:

"يا شعب قرطاج، أمرتم بمرسوم من قائد بحريتك حانون ان يبحر ويسعى للقيام باكتشافات جديدة من الجانب الآخر لأعمدة هرقل وأن أسس عدة مؤسسات (مستوطنات) فينيقية - لوبية على السواحل الإفريقية بالمحيط الأطلنطي، لتنفيذ هذه المهمة، وضعت على ذمتي ستون سفينة ولكل واحدة منهم خمسون مجذاف محمولين بعدة آلاف من المواطنين من كلا الجنسين، أوامركم نُفذت وها أنا في هذا الحرم سأعلل الرحلة التي كنت أمرا لها. سأضع الملف بهيكل الألهة صاطورن(Saturne) التي حمتنا من كل سوء

²⁰ محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دارالمعرفة، الجامعية الإسكندرية، مصر، 1990، ص 363.

²¹ حانون القرطاجي Hannon: ملك قرطاج، وقائد عسكري وبحار مستكشف، حكم بين عامي 480 ق م - 440 ق م.

²² فرانسوا دوكريه، قرطاج الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994 م، ص ص 62-63.

أ/سقوان نجلاء

خلال هذه الرحلة الطويلة، أبحرنا في طالع سعيد، وبعد اجتيازنا المضيق، وسيرنا على الماء بالتجديف لمدة يومين بدأنا في تأسيس مدينة، اسمها Thymietarium وهي الأولى من مستوطناتنا على هذه المنطقة البحرية، عند وصولنا إلى شناخ مظلل بالكثير من الأشجار، شيدنا هيكلا لنبتون Neptune. على بعد مسافة نصف يوم في الخلف عندما تلتفت لشروق الشمس كشفت لنا بحيرة، محاطة بقصب جذغه قوي، بأطرافه نجد الفيلة والحيوانات المفترسة، على بعد مسافة يوم من هناك أنشأنا عدة مراكز تجارية وكان اسم الأولى "باب الشمس Cap Soleis"، عندما إستأنفنا سفرنا وجدنا أنفسنا بمصبٍ لنهر كبير قادم من ليبيا سُمي بـ Lixus مكثنا فترة قصيرة على ضفته، بين بدو رعاة ماشية قاموا بضيافتنا، هذه القبيلة تعيش بلا قوانين، ودون حكومة، كل شخص يعيش وسط عائلته وكل عائلة تشكل إمبراطورية صغيرة حيث أكبرها سنا يكون زعيمها. عندما نتقدم إلى الأمام فوق الأرض تجد اللوبيون غير المتحضرين وسكان كهوف أشكالهم غريبة لكنهم أسرع في العدو من الخيول التي صاحبتنا في سفننا الكبرى، عندما درنا جنوبا على طول ساحل بري وصلنا إلى خلف خليج لجزيرة محيطها خمسة غلوات (غلوة قرطاجية بمئة وستة عشر قدم) واحتمال أكثر، أطلقنا عليها القرنة Cerne، كلامنا عن هذه الجزيرة مهم جدا، ستكون مخزنا لتجارة كبرى... المسافة التي قطعنا من قرطاج إلى الأعمدة تساوي في رحلتنا المسافة بين الأعمدة و سرنى (هنا يعني أعمدة هرقل)..²³

ولقد حلل المؤرخون والباحثون نص خطاب حانون بالتفصيل على شكل

نقاط أهمها:

²³<http://www.pheniciens.com/persos/hannon.php>.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجاً)

- 1- إستحسن القرطاجيون أن يبحر حانون خارج أعمدة هرقليس، وينشئ مدناً لليبينيين الفينيقيين، فأبحر إذن وصحب معه ستين سفينة بخمسين مجدافاً مع ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء والأطعمة والعتاد اللازم.²⁴
- 2- بعد يومين من السفر وراء أعمدة هرقل، أسس حانون أول مدينة سماها تيمياتيرون²⁵ يشرف عليها سهل فسيح، وتيمياتيرون مشتقة من الكلمة الفينيقية توميا (Tumia) والتي تعني مصب وتاريا (Tarya) والتي تعني وادي ومنه فإن معنى الكلمة مصب الوادي، وعند الإغريق تعني المباخر،²⁶ وهناك من يوضع محطة تيمياتيرون في المهديّة شمال الرباط حالياً، وهناك من يحدد موقعها قرب طنجة²⁷، وهناك من يوقعها بالقرب من ميناء ليوتي (Lyautey) عند مصب نهر سبو (Sabou).²⁸ وبدوري أرجح الرأي الثاني الذي يحدد موقع تيمياتيرون قرب مدينة طنجة، لأن هذه المدينة تقع بالقرب من مضيق جبل طارق، وإذا رجعنا إلى نص حانون عندما قال: "... وبعد اجتيازنا المضيق، وسيرنا على الماء بالتجديف لمدة يومين بدأنا في تأسيس مدينة، اسمها Thymietarium وهي الأولى من مستوطناتنا على هذه المنطقة البحرية..". وللوصول إلى طنجة قد تكفيه يومين من التجديف مقارنة من مدينة مهديّة التي تحتاج إلى قطع مسافة أطول للوصول إليها.

²⁴ Gsell (ST), H.A.N.N, TV, OP, Cit, P 371

²⁵ Gsell (ST), H.A.N.N, TV, OP, Cit, P 373

²⁶ جيروم كاركوبينوم، المغرب العتيق، المرجع السابق، ص 143.

²⁷ رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج 1، المرجع السابق، ص 235

²⁸ Merlin (A), la Véritable Portée du périple d'Hannon, Journal des Savants, 1944, Paris, p 69.

أ/سقوان نجلاء

3-أبحر حانون بعد ذلك نحو الغرب ووصل إلى سولويس²⁹ وهي عبارة عن رأس ليبي تزاخمت فيه الأشجار وتكاثفت، وأسس معبد كرس لبوزيدون³⁰.

4-لما إنتهى من بناء قدس بوزيدون، توجه حانون نحو الشرق خلال نصف يوم ووصل إلى جزيرة بعيدة بعض الشيء عن البحر تغطيها كمية كثيرة من الحشائش، تعيش عليها الفيلة والعديد من الحيوانات المتوحشة،³¹ وحسب جان مزيل فيمكن أن تكون بحيرة أوليديا بالساحل المغربي.³²

5-أنشاء حانون على بعد يوم من أعمدة هرقل خمسة مدن على الساحل: كاريكون تيخوس وغوتي وأكراوميلتا وأرامبيس،³³. وكانت عبارة عن محطات سرية أو مستوطنات تعمير مهمتها الأساسية زراعية،³⁴ وهي ممتدة على طوال الساحل المغربي إلى غاية موريطانيا بالتحديد في جنوب المغرب الأقصى حالياً.³⁵

6-واصل حانون طريقه حتى أدرك نهركبير إسمه لكسوس العريض يصدر من لوبة (ليبيا) وعلى ضفته يعيش قوم من الرحل وهم اللكسيون يرعون قطعانهم. نزل عندهم زمناً حتى أصبحت بينه وبينهم صداقة.³⁶

7-أخبر اللكسيون الرحالة حانون ورفاقه، بأن وراء ديارهم تمتد ربوع يسكنها الأثيوبيون وهم قوم عدوانيون، يقيمون بأرض تعج بالحيوانات المتوحشة

²⁹ رأس سولويس: هو رأس الكنثل (Cap cantin) والذي يقع شمال مدينة أسفي حالياً ما بين نهر أم الربيع ونهر تانسيفت: أحمد صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، المرجع السابق، ص 127.

³⁰ Gsell (ST), H.A.N.N, TV, OP, Cit,P373.

³¹ جان مزيل، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، المرجع السابق، ص 202.

³² المكان نفسه، ص 205.

³³ المكان نفسه، ص 202.

³⁴ كاركوبينوم جيروم، المغرب العتيق، المرجع السابق، ص 125.

³⁵ حليلة غازي، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 26، الرباط 2006، ص 85.

³⁶ الطاهر دراع، المرجع السابق، ص 91.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون)

نموذجاً)

وتتخللها جبال عالية وينبع منها نهر الليكسوس³⁷ كما يعيش فيها بشر من سكان الكهوف ذوي أشكال غريبة وهم المغاوريون.³⁸

8- إتخذ حانون مترجمين من اللكسيون، وأبحر خلال يومين باتجاه الجنوب على طول ساحل مقفر، ثم إتجه نحو الشرق خلال يوم واحد فوجد جزيرة صغيرة يبلغ محيطها خمس غلوات في جوف خليج، نزل فيها معمرّاً ثم أقام منشأ سماه سيرني.³⁹

9- عبر حانون ورفقائه في طريقهم نهر كبير يدعى كريتيس، ووصلوا إلى بحيرة تضم ثلاثة جزر أكبر من سيرني، وبعد إبحار دام يوم وصلوا إلى طرف البحيرة التي يطل عليها جبل مرتفع يسكنه قوم متوحشون يلبسون جلود الحيوانات، فرموهم بالحجارة حتى منعوهم من النزول.⁴⁰

10- تابع حانون رحلته حتى وصل إلى نهر آخر كبير مليء بالتماسيح وأحصنة البحر فاضطر العودة إلى سيرني.⁴¹

11- من سيرني أبحر حانون إلى الجنوب خلال يومين فأصطدم بالأثيوبيين بالقرب من الشاطئ، والذين يتكلمون لغة غير مفهومة حتى بالنسبة للمترجمين اللكسيين⁴² الذين أصطحبهم حانون معه في رحلته.

12- ألقى حانون المرساة في اليوم الأخير بالقرب من الجبال العالية المكسوة بالشجروالتي تفوح من غاباتها رائحة العطر الزكية.

³⁷ جان مازيل، المرجع السابق، ص 202.

³⁸ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 129

³⁹ ينظر الخريطة رقم 04 صفحة 113.

جان مازيل، المرجع السابق، ص 202p.

⁴⁰ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 129.

⁴¹ جان مازيل، المرجع السابق، ص 203.

⁴² المكان نفسه، ص ص 203-207.

أ/سقوان نجلاء

13- أبحر حانون في الجوار خلال يومين ووصل إلى خليج ضخمة، تشتعل على سواحله في الليل نيرانا ضخمة وأخرى ضعيفة. وربما هذا تعبير مبالغ فيه يصف المناخ الحار، إذ من يعبر خليج البنين خلال فصل الصيف يشعر أنه يحترق بالنار.⁴³

14- بعد أن تزود حانون بالماء أبحر خلال خمسة أيام على طول الساحل حتى وصل إلى خليج كبير سماه مترجموه قرن الغرب، وتوجد في هذا الخليج جزيرة كبيرة، كما توجد في الجزيرة بحيرة تحتوى على ماء مالح، وتوجد ضمن الماء جزيرة أخرى فنزل فيها.⁴⁴

15- إلتف حانون حول الساحل المتوحش الذي ينبعث منه رائحة الطيب ووجد سيول من نار وحمم تنتشر حتى البحر، فلم يتمكن من الإقتراب من المنطقة بسبب الحرارة.⁴⁵

16- غادر حانون المنطقة بسبب حرارتها المرتفعة. وطيلة أيام أربعة قضاها حانون ورفقائه في البحر، كان يشاهد الأرض تغمرها النيران ليلاً، وبداله أنها تصل إلى النجوم ولكن تبين له في النهار أنها جبل ضخمة يدعى مركبة الآلهة أو عربة الآلهة.⁴⁶

17- تجاوز حانون هذه المنطقة الحارة بعد ثلاثة أيام من الإبحار حتى أدرك خليجاً يدعى قرن الجنوب،⁴⁷ وقرن الجنوب هو مضيق ساربرو.⁴⁸

18- وجد حانون في خليج قرن الجنوب جزيرة كبيرة وفيها بحيرة داخلها جزيرة أخرى مليئة بالقروود الإناث في غالبيتها وقد غطى أجسامها الوبر، يطلق المترجمون

⁴³ جان مازيل، المرجع السابق، ص ص، 203-207.

⁴⁴ محمد حسين فنطر، المرجع السابق، ص 129.

⁴⁵ جان مازيل، المرجع السابق، ص 203.

⁴⁶ الطاهر دراع، المرجع السابق، ص 93.

⁴⁷ جان مازيل، المرجع السابق، ص 204.

⁴⁸ M. Cary et warmington (E), les Escplorateurs de l'antiquité, Payot, Paris, 1932, p76

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجاً)

على هذه القروء الإناث إسم الغوريلا،⁴⁹ وقد تمكن البحارة من إصطياد ثلاثة منهن وقاموا بسلخ جلودهن وحملوها معهم إلى قرطاجة،⁵⁰ وظاهرة صيد الغوريلات كانت شائعة في القديم، حيث عثر على صحن فينيقي به رسومات تبين عملية صيد الغوريلات.⁵¹

تلك هي رحلة حنون كما وردت في مخطوط هيدلبارج، وكما نشرها ستيفان قزال بعد الحرب العالمية الأولى في الجزء الأول من كتابه تاريخ شمال إفريقيا، وقد أثارت هذه الرحلة نقاشاً حاداً حول تاريخها وتواريخ النص المخطوط، ولئن تبدو بعض العناصر من سبك الخيال تجيز الطعن في مصداقية صاحبها، فلا أحد ينازع في قيمتها الأدبية.⁵² أنظر الملحق 02 صفحة 14

ثانياً: النتائج الدينية والثقافية للرحلات البحرية القرطاجية: أتاحت الرحلات البحرية التي قام بها القرطاجيون في أفريقيا السوداء الإطلاع على النماذج الحضارية لإفريقيا السوداء والتأثر بها من باب إستكمال كيانهم الحضاري، حيث أعتقد القرطاجيون بوجود قوى خفية شريرة تهدد راحتهم وأمنهم، فحاولوا إبعاد أذاها عن طريق اتخاذ التماائم ووضع أقنعة ومسوخ طينية تحمل أشكالاً شيطانية يرتديها الإنسان أو يضعها في منزله أو في قبره كنوع من إخافة هذه القوى الشريرة، وهذه الفكرة ترجع إلى أصول أفريقية أكثر منها فينيقية.⁵³

⁴⁹ جان مازيل، المرجع السابق، ص 204.

⁵⁰ المكان نفسه، ص 204.

⁵¹ أنظر الشكل رقم 21 صفحة 116.

⁵² الطاهر دراع، المرجع السابق، ص 93.

⁵³ رشيد الناظوري، المرجع السابق، ص ص 218-220.

⁵⁴ المرجع نفسه، ص 228.

أ/سقوان نجلاء

لقد وصف المؤرخون جبال الأطلسي⁵⁵ في الليل أنها تضيء بسبب لهب النار وترتفع أصوات الأهازيج ودق الطبول، وفسروا ذلك بخروج الشياطين (الجنون)⁵⁶ في الليل، وهذه الفكرة مستوحاة من رواية حانون فيما يتعلق بوصفه لجبال الكاميرون.⁵⁷

وبالرغم من إختفاء آثار المستوطنات القرطاجية في الساحل الإفريقي الغربي، إلا أن الآثار المعنوية بقيت إلى مدة طويلة، ويؤكد القديس أوغسطين (354-430م) أن السكان في زمانه في الشاطئ الأفريقي الغربي إلى رأس نون (Cap noun) كانوا لا يزالون يتكلمون اللغة البونية،⁵⁸ وذلك بعد مضي مدة طويلة عن سقوط قرطاجة.

وقد وجدت عدة أسماء في موريطانيا مشتقة من اللغة البونية، حيث يوجد موقع يدعى "تانيت" ويعتقد أن مرافقي حانون أسسوا معبداً للآلهة تانيت في ذلك الموقع الذي كان يشرف على أجمل شاطئ في موريطانيا.

كما أن نساء المور مازلن يتزين إلى الآن بالحلي الزجاجية، وهذه الحلي كانت من المصنوعات والبضائع الهامة لقرطاجة، وهذا ما يبين الأثر الذي تركته رحلة حانون، وهناك من يعتقد أن شعب المور هم الأحفاد المتبقين من رحلة حانون، وقد أطلق القرطاجيون عليهم إسم "ماهور" أي برايرة الغرب.⁵⁹

⁵⁵ تمثل الجبال والكهوف العبادة الطبيعية الأولى بالمغرب القديم، وهذا لأن الجبال في المعتقدات القديمة تمثل مساكن للآلهة، كما أن شكلها يجلب إليها القداسة وإرتفاعها يذكر الإنسان بالسماء، كمقر لكل إله قوي، ويتم إرتقاء الإنسان للجبال لأداء العبادات ليكون أقرب إلى الإله: محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني، ص 68.

⁵⁶ يقصد بها الأرواح سواء شريرة أو طيبة.

⁵⁷ محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 69.

⁵⁸ جورج كونثينيو، المرجع السابق، ص 352.

⁵⁹ جان مازيل، المرجع السابق، ص ص 229-230.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجا)

وقد كانت المستوطنات التي أسست في الساحل الإفريقي الأطلسي، مراكز إشعاع لحضارة مزدوجة ليبية فينيقية، ومن مظاهرتوغل الثقافة القرطاجية في الساحل الغربي هو ظهور الكتابة البونيقية على العملات التي قام بسبكها الملوك الموركبوكوس الثاني.⁶⁰

ومن خلال رحلة حانون استطاع الباحثون التعرف على العادات والطقوس الدينية والإحتفالات الخاصة بالقبائل الزنجية وقد أفادت رحلة حانون الميثولوجيا كثيرا، حيث رأى الشعراء في تلك المناطق أرضا للوحوش والآلهة.⁶¹

وخلال القرنين الخامس والسابع عشر للميلاد، عرفت قصة حانون إنشأراً واسعاً جداً لدى العلماء من مؤرخين وفيلولوجيين وفي الموسوعات التاريخية والجغرافية وحتى الميثولوجيا، والسير وقد إستخدمت قصة حانون في تحرير مرافعات قانونية مثل مرافعة الشركة الهولندية للهند الشرقية.⁶²

⁶⁰ ريمة مليزي، المرجع السابق، ص 194.

⁶¹ مادلين هورس ميادات، تاريخ قرطاج، المرجع، السابق، ص ص 87-88.

⁶² P 221 , Fantar(M.H), Carthage approche d'une civilisation, T2, Ed, Alif, Tunisie, 197

وفي نهاية هذا المقال أستنتج مجموعة من النتائج أوردها فيمايلي:

1-كان للقرطاجيين إهتمامات أدبية وتظهر في الرحلات البحرية التي قام بها هميلكون وحانون، والتي تعد من أكبر مظاهر تأثر القرطاجيين بالبحر، ومن المفاخر التي يفتخرون بها أمام باقي الحضارات الأخرى، ومن أكبر الإستكشافات سواء في العالم القديم أو في الحديث، وهذا راجع للأبعاد والنتائج التي ترتب عنها، سواء كانت سياسية أو إقتصادية ودينية وثقافية وحتى جغرافية.

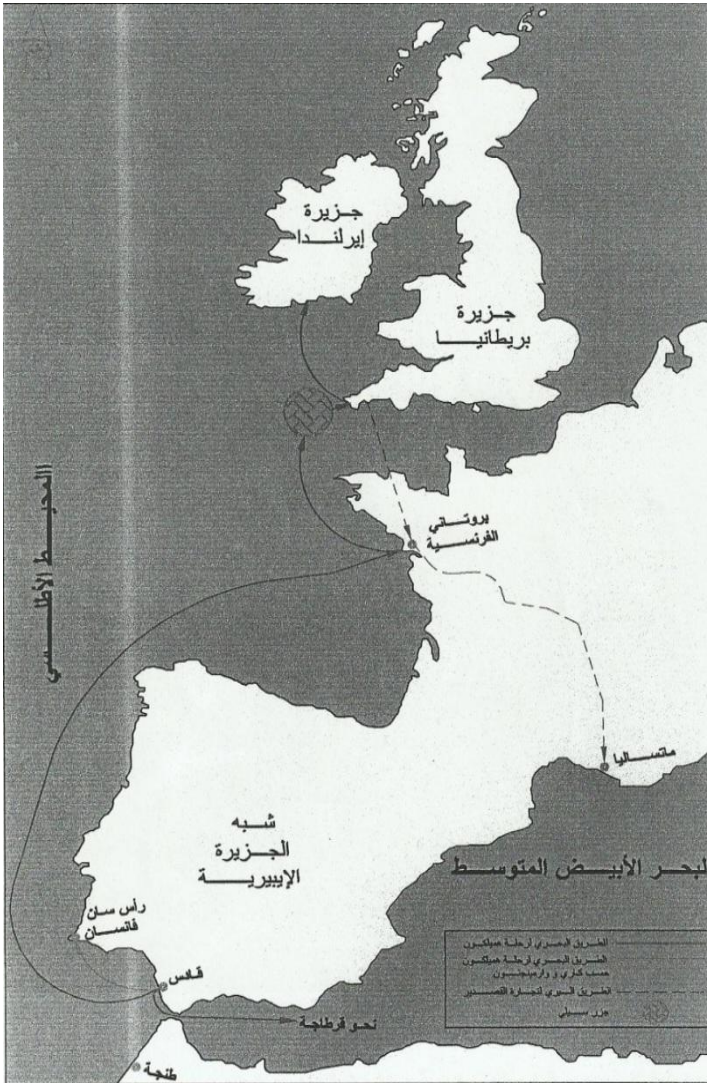
2-قدمت هذه الرحلات القرطاجية معلومات جغرافية جديدة حول المناطق التي تم إكتشافها، كما ساعدت على وضع دليل بحري يتضمن وصفا شاملا لسواحل المحيط الأطلسي، والمخاطر التي يواجهها البحارة كالتيارات والرياح البحرية، كما ساهمت في إتساع خارطة الطرق التجارية البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط وإنفتاحها على المحيط الأطلسي من خلال الطريق البحري المؤدي إلى غرب أوروبا ، وبذلك أستطاعوا أن يجدوا بديلا للطريق البري الصحراوي.

3-بفضل رحلة حانون أستطاعوا الإطلاع على النماذج الثقافية لإفريقيا السوداء والتأثر بها من باب إستكمال كيانهم الثقافي الجديد، خاصة في الإعتقاد بوجود القوى الخفية الشريرة التي تهدد راحة الميت في قبره، فأخذوا منهم فكرة التمايم والأقنعة والمسوخ الطينية التي تحمل أشكالا شيطانية يرتديها الإنسان أو يعلقها في منزله أو قبره لإخافة هذه القوى الشريرة.

4-ساهمت الرحلات البحرية في إقامة مستوطنات ومراكز قرطاجية في الساحل الإفريقي الأطلسي، ذات إشعاعات ثنائية ليبية فينيقية، ومن مظاهر توغل الثقافة البونية في الساحل الغربي هو تبنيهم للكتابة البونية وظهورها على عملاتهم ونقودهم.

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجاً)



الملحق رقم 01 : خريطة تبين طريق رحلة هميلكون

أحمد الصفر ، مدينة المغرب العربي...، المرجع السابق ، ص 129.

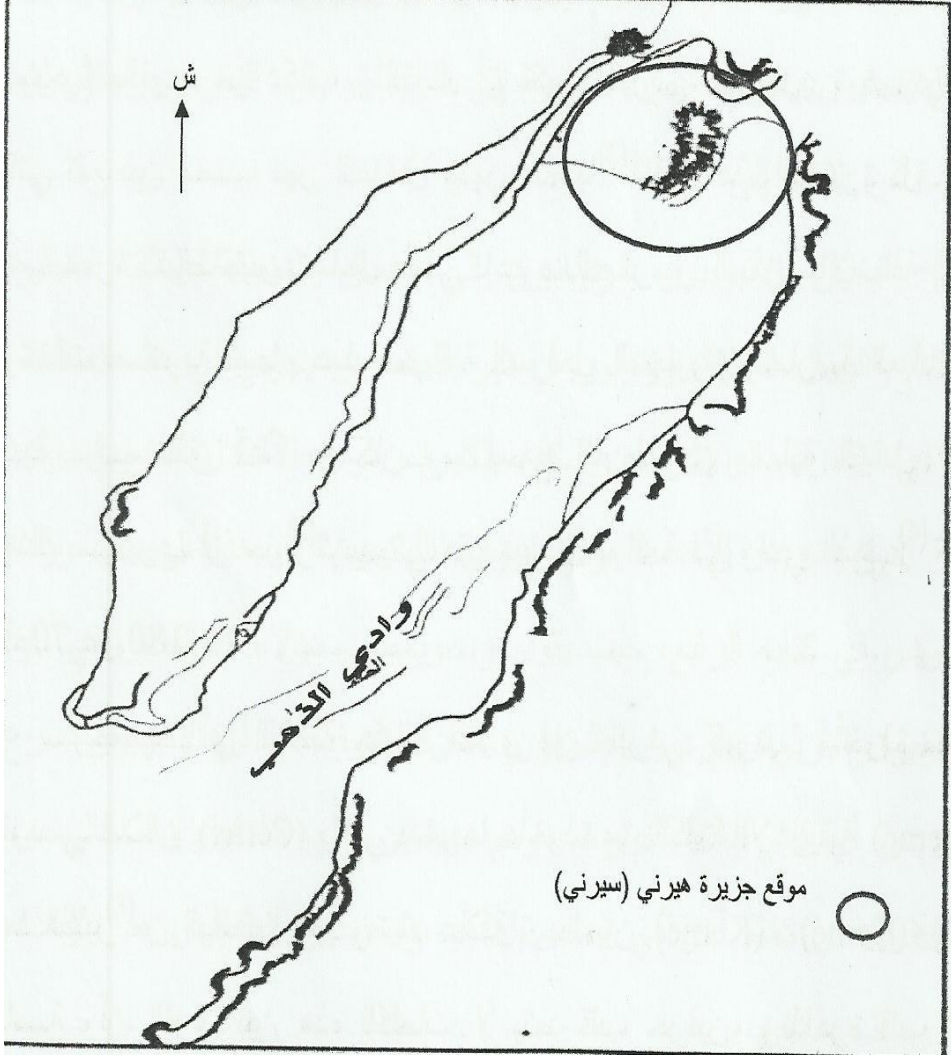
أ/سقوان نجلاء



الملحقة رقم 02: خريطة توضح طريق رحلة حانون

<http://www.pheniciens.com/persos/hannon.php>

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون
نموذحا)



الملحق رقم 03: خريطة تبين موقع جزيرة سيرني

كركوينوجيروم، المغرب العتيق، المرجع السابق، ص 194

قائمة المصادر الأجنبية:

1- Strabon, Géographie (I,III,XVII), D'Amédé tradieu, Edition, Hachette (Paris 1894,

2 Gsell(S), Histoire Ancienne de l'afrique du Nord, T1, paris, 1921.

قائمة المراجع العربية:

1- أحمد صقر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، بوسلامة، تونس، 1959

2- أحمد سليمان وآخرون، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات في البحث عن الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007

3- جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، نر، جورج حداد وآخرون، ط2، دار المعارف، مصر: 1980

4- جورج كونتينيو، الحضارة الفينيقية، تر: عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1997م

5- جان مازيل، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تر: نجيب غزاوي، سوريا، 1988،

6- دراع الطاهر، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية (814-146 ق م)، كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس، (2009-2010).

7- كاركوبينو (جيروم)، المغرب العتيق، تر: محمد التازي سعود، نشر أكاديمية المملكة المغربية (الرباط).

9- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة، الجامعية الإسكندرية، مصر، 1990

8- فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م،

الرحلات البحرية القرطاجية ونتائجها الثقافية والدينية (رحلة خيملك وحانون

نموذجا)

جورج كاراكو بينو،

10-الناضوري رشيد، التحليل الموضوعي المقارن الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، الكتاب الثالث المدخل في التصوير التاريخي والديني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1976.

11-جان مازيل، مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير، تر:نجيب غزاوي، سوريا، 1998.

12-حليمة غازي، آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 26، الرباط.

13-فنطر محمد حسين، الحرف و الصورة في عالم قرطاج، ط1، منشورات أليف، تونس، 1999.

14-غانم محمد الصغير، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، 2003.

15- صقرأحمد، مدينة المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1999.

قائمة المراجع بالأجنبية:

1-Harden(Donald) ,The phoenicians and hudson.1963

2-Merlin (A), la Véritable Portée du périple d'Hannon, Journal des Savants, 1944, Paris

3-M. Cary et warmington (E), les Escplorateurs de l'antiquité, Payot, Paris, 1932